

التعمير الصغير وآليات التحول إلى أطراف مدينة باتنة

ضريفي نعيمة، لكحل عبد الوهاب

كلية علوم الأرض، الجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة - الجزائر

تاريخ الإستلام 2017/11/07 – تاريخ القبول 2018/10/17

الملخص

أخذت التوسعات نحو المراكز الريفية شكل انتشار المد الحضري في الوسط الريفي، حيث عرفت هذه الأخيرة في المناطق الفاصلة بين مدينة باتنة ومراكز الأطراف تحولات جذرية، ترجمت بتطور الاستخدام السكني، بفضل سهولة الحصول على قطع أرضية للبناء تعود ملكيتها للخواص، وأيضًا ذات صفة عقارية تابعة للعرش.

الارتكاز على الأطراف في تخطيط نمو مدينة باتنة أفرز تحولات جذرية وعميقة في المراكز التي كان يغلب عليها الطابع الريفي بدخول أنماط وعناصر الحياة الحضرية فيها، وهذا التحول العفوي أحيانًا والإرادي أحيانًا أخرى. أدى إلى توافد سكان جدد بأعداد كبيرة من مدينة باتنة بالإضافة إلى تطور الأنشطة الاقتصادية الغير فلاحية كالصناعة والتجارة والخدمات أدى إلى بروز العديد من التناقضات والصراعات بين البيئة الريفية والتعمير الطوفاني.

الكلمات المفتاحية: التعمير الصغير، مدينة باتنة، المد الحضري، الحياة الحضرية، الأطراف، الضواحي، الطابع الريفي، البيئة الريفية.

Résumé

Ces derniers connu des mutations majeurs entre la ville de batna et centres de labanlieu. et de la périphérique qui traduisent le développement de l'utilisation résidentielle cela est du à la facilité d'avoir des ilots de terrains de bâtir privés ou de terrains qui appartient aux fonciers arch. penché sur le périphérique pour la planification de la croissance de la ville de batna à produit des mutations radicales dans ces centres ruraux par l'adoption des modes de vie urbaine.

Cette transition spontanée et dé fois volontaire provoque une migration massive de la ville de batna vers ces centres, de plus de développements des activités économiques telles que l'industrie, le commerce et services ton cela a provoqué des contraintes et des conflits entre l'environnement rural et l'urbanisme massif et accéléré.

Mots clés : micro urbanisation, ville de batna, extension urbain, vie urbaine, la périphérique, ban lieux, environnement rural.

Abstract

Urban sprawl into rural centers took the form of urban expansion in the rural area. The latter were defined in the areas between the city of Batna and the centers of the parties as major changes translating development of residential use, through the ease of access to both private and tribal land lots. Building on the parties in planning the growth of Batna city produced radical transformations, which was predominantly rural with the introduction of patterns and elements of urban life, and this spontaneous and involuntary transition It resulted in the influx of new residents in large numbers from Batna city in addition to the development of non-agricultural economic activities such as industry, trade and services led to the emergence of many contradictions and conflicts.

Keywords: Micro Urbanization, Parties, Rural character, rural environment, urban life.

المقدمة

تعاني مدينة باتنة من إشكالية أساسية في نموها العمراني، لمحدودية مواردها الموضعية وشيخ طاقات الموضع القابل للتعمير وتدهور بيئتها الحضرية نتيجة التراكم الكبير للسكان والعمران داخل مساحة محدودة، والتزام الشديد على المرافق والأنشطة، مما جعلها ذات قدرات محدودة للوفاء بمتطلبات النمو، وشكلت عامل طرد تمثل في إفراغ فائض نموها إلى المراكز المجاورة والأطراف التي تمثل نموذجاً للتعمير الصغير الذيهو حالة وسطية بين الحضر والريف.^[1] وتشكل الأطراف البديل النموذجي لتوفير حاجيات المدن الكبرى اللازمة والأنشطة حيث تتعرض هذه الأخيرة إلى عملية غزو حضري مستمر يأخذ شكل حركة معقدة للتوسع غير المتصل، حيث يؤدي إلى تهيئة وظائف أساسية لمراكز التعمير الصغير تتميز بطابع التبعية.

وتمثل عملية نقل نمو المدن الكبرى نحو الأطراف والمراكز الصغيرة المجاورة نموذجاً للقدرة على التكيف مع المتطلبات المحلية والسكانية والاقتصادية التي يفرزها تضخم هذه المدن.^[2]

وقد شجعت السلطات المحلية والقائمون على عمليات التهيئة في ولاية باتنة هذا الخيار الاستراتيجي لتوفير حاجيات النمو المتزايد في هذه المدينة عبر تفرغ الفائض السكاني والأنشطة على المراكز العمرانية الصغيرة المحاذية لها باعتبارها الحل الأمثل والأكثر ملاءمة لمواجهة تضخمها المفرط، وإعادة التوازن العمراني في إقليم باتنة لتصبح هذه المراكز (الأطراف) واجهة لحل مشكل النمو المستقبلي لمدينة باتنة مما أدى إلى توافد سكان جدد بأعداد كبيرة من مدينة باتنة بالإضافة إلى تطور الأنشطة الاقتصادية غير الفلاحية كالصناعة والتجارة والخدمات بها أدى إلى بروز العديد من التناقضات والصراعات بين البيئة الريفية والتعمير الطوفاني، حيث أصبحت مسرحاً لحركة تنقل واسعة وكثيفة للتدفقات الاقتصادية والسكانية أدت إلى نموها وعملت على دمجها في المركب الحضري لإقليم مدينة باتنة الكبرى بفعل تزايد الحاجيات والمعاملات للوقوف عند هذه الظاهرة ومحاولة منا إلى تقييمها وتوضيح معالمها على أرض الواقع في خطوة

أولى إلى طرح إشكالية نمو مدينة باتنة وخصائص التوسع المجالي.

أولاً: إشكالية نمو مدينة باتنة وظروف تعمير الضواحي والأطراف:

لتحديد إشكالية النمو العمراني لمدينة باتنة يجب التطرق إلى العوامل الطبيعية والبشرية حيث أدى السباق غير المتوازن بين النمو الديموغرافي والطلب على المجال إلى خلق أزمة انعكست آثارها على أنماط تنظيم المجال.^[3]

1. تحليل قوى النمو في مدينة باتنة .

إن المؤشرات الديمغرافية والمجالية تكشف عن خطورة غير عادية في إشكالية نمو مدينة باتنة، استلزمت جهوداً استثنائية للتعامل معها، وتكيفها مع متطلبات التعمير، وتتلخص أهم عناصر هذه الإشكالية في:

1.1. موضع شديد الحساسية وعوائق للنمو:

تتعدد المشاكل في نمو مدينة باتنة حيث يعاني الموضع من عوائق طبيعية معقدة وإمكانات توسع محدودة مع طاقات موقع مركزي مشجع للنمو ومدعم بإمكانات وظيفية واقتصادية هامة حيث يغلب على موقع مدينة باتنة طابع الانبساط على شكل حوض، والحواسز الجبلية على الأطراف، والأودية في وسط الحوض، التي لا تتوفر على الموارد الموضعية اللازمة للتوسع.

إن عملية التفرغ السكاني الذي قامت به مدينة باتنة ولا زالت باتجاه الأطراف التي تمثل مراكز للتعمير الصغير أين الصعود الحديث للتعمير الصغير يعوض ضعف التعمير المكتسب.^[4]

من هذه العوائق تولد إشكالات عديدة في وجه التنمية الحضرية منها التعرض لخطر الفيضان، حيث تتعرض أغلب الأراضي إلى هذا الخطر، والأراضي العسكرية (ملكية الجيش) وخط السكة الحديدية والمناطق الصناعية .

هذه العوائق الموضعية الشديدة الخصوصية دفعت مدينة باتنة إلى النمو بطريقة خاصة حسب الظروف الطبوغرافية والعقارية والاقتصادية.

توسع المدينة أدى إلى تفاعلات حضرية عديدة أفرزت ضغوط كبيرة على تنظيم وحركية المجال، وأنتجت نسيج

ضريفي نعيمة، لكحل عبد الوهاب

تعمير الأطراف بعد وصولها مرحلة التشبع، ويؤكد هذا، المعدلات القياسية التي سجلتها مراكز التعمير الصغير في وتيرة نموها، هذا النمو المفرط هو في الواقع رد فعل وترجمة ميدانية لنقل نمو سكان مدينة باتنة إلى الأطراف، أين كان أقوى وأكثر سرعة .

2.2.1. النمو المجالي

يزيد السباق في نمو مدينة باتنة بين السكان والموارد الموضوعية التي تقوم عليها وتحيط بها، وذلك لتلبية الطلب المتنامي على السكن والبنية التحتية والأنشطة والتجهيزات، وقد مر التوسع المجالي لمدينة باتنة بمرحلتين:

1.2.2.1. الامتداد من الداخل:

استهلك النمو المجالي لمدينة باتنة مساحات كبيرة حيث لم تكن المساحة المعمورة تتعدى 12 هكتار في سنة 1870م غداة الاحتلال الفرنسي، لتصل إلى 150 هكتار عام 1945م حيث تضاعفت المساحة المعمورة بحوالي 11 مرة خلال فترة 50 سنة مما يوحي بأهمية المنطقة في تلك الفترة، وتواصلت عملية التوسع في المدينة لتغطي مساحة 3490 هكتار في سنة 2009م. حسب الجدول الموالي والشكل رقم (1).

الجدول رقم (2): حجم إستهلاك المساحة وتوسع مدينة باتنة من 1844. 2009 م بالهكتار

المرحلة	المساحة بالهكتار	الزيادة بالهكتار	الزيادة (%)	معدل الاستهلاك السنوي
-1844 1870	12	-	-	-
-1871 1923	26	14	53.85	0.49
-1824 1945	150	124	82.67	6.82
-1946 1962	209	59	28.23	12.30
-1963 1973	1227	1018	82.97	111.54
-1974 1984	2431	1204	49.53	220.72
-1985 1995	3383	952	28.14	307.54
-1996 2000	3394	11	0.32	160
-2000 2009	3490	96	2.75	264

المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير + حساب المساحة ل 2009 م
برنامج نظم المعلومات الجغرافية

عمراني غير متجانس من حيث النمو والنوعية، وعلى العموم توفر خصائص مواضع المدن إمكانية اندفاع ذاتي للتنمية الحضرية وبالتالي توسع عمراني.^[5] إلا أن حالة مدينة باتنة الموضوع لم يعد ينسجم مع حاجيات التوسع وغير قادر على استيعاب طاقة التعمير المتزايدة للمدينة في أوج نموها.

2.1. معدلات تعمير عالية:

تتأثر إشكالية نمو مدينة باتنة ببعدين رئيسيين يؤديان دورا حاسما في التعمير هما البعد الديموغرافي والمجالي.

1.2.1. النمو الديموغرافي:

يشكل هذا البعد عنصرا فاعلا في التطور الحضري لمدينة باتنة لأن تفاعلات هذا العنصر لا تقتصر على المدينة الأم فقط بل تتعدى إلى المراكز العمرانية المجاورة (الأطراف).

الجدول رقم 1 يوضح أن سكان مدينة باتنة في تزايد مستمر حيث كان الاتجاه العام في مختلف التعدادات يتميز بالزيادة العددية، حيث ارتفع من 181601 سنة 1987 إلى 198700 سنة 2015 م

جدول رقم 1: معدل نمو السكان لمدينة باتنة (1977-2015).

الفترة	عدد السكان	معدل النمو (%)
1977	102756	-
1987-1977	181601	2.79
1998-1987	246800	1.97
2008-1998	297814	2.38
2015-2008	342100	2.00

المصدر: إحصائيات + تقديرات 2015 م

يقدم تحليل معدلات نمو السكان لمدينة باتنة لنفس الفترة، صورة عن الديناميكية التي تتخلل المدينة من حيث التعمير، والزيادة السكانية حيث تضاعف عدد السكان ثلاث مرات خلال هذه الفترة بعد تصاعد أهمية المدينة كقطب إقتصادي وتنموي، في الوقت الذي كانت تسجل فيه المدينة زيادة في حجم السكان، كان معدل النمو يسجل تذبذب حيث بلغ 2,79 % وبعدها نقصان بـ 1.97% في 1998 نقصان إلى أن بلغ 2.38 % في سنة 2008 وبعدها نقصان في تقديرات 2015م، في الآونة الأخيرة يعود تفرغ المدينة واللجوء إلى

التمتية ويستنزف مبالغ كبيرتقمن الميزانية، حيث ورثت البلدية وضعا خطيرا بحيث نجد 463 قضية عقارية أمام العدالة من قبل ملاكي الأراضي ضد البلدية، بالإضافة إلى 300 ملف لمنح مزدوج لقطع أرضية^[9]. ولازال الوضع على حاله رغم مبادرات الدولة في شأن ذلك من خلال الملكية الخاصة للأراضي خاصة الملاكين الكبار الذين قاموا بتجزئة الأراضي وبيعها لمختلف فئات المجتمع بعقود عرفية، أما بالنسبة للملكيات الأخرى فقد ساهمت في توسع المدينة دون عائق.

الجدول رقم 3: المساحات العقارية في مدينة باتنة بالهكتار

أراضي الجيش	أراضي الدولة	أراضي الخواص	أراضي البلدية	الملكية العقارية
130	339.88	657.08	2267.01	المساحة بالهكتار
3.83	10.01	19.36	66.8	النسبة المنوية

المصدر: المصلحة التقنية لبلدية باتنة

ثانيا: انعكاسات نقل الأحمال الزائدة إلى الأطراف:

عرفت القرى المجاورة للمدينة الأم باتنة تحولات عميقة بفعل تعرضها لاستقبال فائض النمو، وبذلك ارتبط مصيرها ونموها بالمدينة الأم، كونها المتنافس الذي لجأت إليه، لحل إشكالية النمو، وبذلك اكتسبت هذه المراكز العمرانية الصغيرة، مؤهلات جديدة، تعقدت وتشابكت لتزيد من قوة ارتباطها بالمدينة الأم، وبذلك يمكن تحليل خصائص وأشكال نموها^[10]، وفهم إشكالية تحضرها، عبر الوقوف على وتيرة وحجم تزايد السكان وحركتهم، وأتساع المساحة المعمورة، والتحويلات المرفولوجية، وارتباطها بالتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية، وتتحدد هذه الأشكال والخصائص فيما يلي:

1. النمو الديمغرافي للمراكز:

إن تحليل الخصائص الديمغرافية للمراكز العمرانية في أطراف مدينة باتنة له أهمية كبيرة لتحديد وتيرة نموها والقوى الدافعة لتشخيص درجة الاستقطاب المميز لها، لما توفر لها من إمكانيات اقتصادية واجتماعية وعمرانية هامة، خاصة من ناحية الإسكان وفرص العمل ومن مرافق وتجهيزات، ويجدر الإشارة هنا إلى أن المؤشر الديموغرافي يكون أكثر فائدة من خلال دراسة معدلات النمو التي تعطي الدلالة الحقيقية للنمو

وتعود أسباب هذه الزيادة الهائلة إلى أن هذه الفترة تأثرت فيها القوى المولدة للنمو العمراني بمجموعة من المتغيرات أهمها تدخل الدولة في عملية التعمير، عبر إنشاء مشاريع المناطق السكنية الحضرية الجديدة والمناطق الصناعية والبنى التحتية في المدينة، وهي العوامل التي شكلت قوى الدفع الأساسية لتوسيع دائرة النمو، وارتفاع مؤشرات استهلاك المجال^[6]. وهنا عرفت المدينة نزوحا كبيرا للسكان طلبا للتجهيزات والخدمات وتميزت ب:

1.2.2.1. مرحلة انفجار التجمع الحضري باتنة 1974-1984:

إنشاء المنطقة الصناعية وظهور المناطق الحضرية الجديدة إضافة إلى برامج السكن الفردي حيث أدى ظهور المنطقة الصناعية إلى التوسع الفوضوي التلقائي الذي شوه مظهر المدينة.

3.2.2.1. مرحلة تشبع النسيج الحضري:

استمر التوسع الحضري للمدينة في جميع الإتجاهات، سواء بالعمليات الطوعية التي جاءت ضمن المخطط العمراني أو بالعمليات اللاطوعية أو بمبادرة من الفئات السكانية عن طريق عمليات البناء الغير شرعي الذي استولى على مساحات هامة من المدينة ليصل حجمها إلى 3383 هكتار بمعدل استهلاك 307.54 هكتار في السنة.^[7]

4.2.2.1. مرحلة تعمير الجيوب الشاغرة:

في هذه المرحلة لم تجد المدينة مجال للتوسع إلا التوجه إلى إستغلال الجيوب الشاغرة، وتشجيع المتعاملين الخواص في ميدان التعمير والتي أعطت توجهات جديدة لتسيير المجال^[8]، مما جعل المدينة تستغل كل طاقتها التوسعية وتوجهها إلى مناطق أخرى بحكم أن المجال الحضري الباتني محاصر بالجبال والمنطقة الصناعية والعسكرية. بحكم أن مدينة باتنة بنيت لأغراض عسكرية لم يراع أثناء اختيار موضعها، التوسع المستقبلي، إضافة إلى المساحة التي تحتلها المنطقة العسكرية والصناعية فإن هناك ارتفاعات تحد من توسعها.

5.2.2.1. وضعية عقارية مميزة:

أثرت بصفة كبيرة على التوسع الحضري لما تعانیه من أزمة عقارية امتدت طيلة سنوات بشكل يهدد مسيرة مستوى

ضريفي نعيمة، لكحل عبد الوهاب

رغم الأهمية الظاهرة لهذا المؤشر، ويوضح الجدول رقم 4 1987-2015م مع الإشارة إلى عدم توفر إحصائيات الحقائق التالية:

يتميز نمو الاطراف ومستوياته بالتوجه نحو التصاعد بصورة ملحوظة، حيث تضاعف عدد السكان في الفترة

الجدول رقم 4: تطور السكان ومعدل النمو في المراكز العمرانية (1987-2015)

معدل النمو (%)			حجم السكان (نسمة)				المسافة عن المدينة (كم)	المراكز العمرانية
2015-2008	2008-1998	1998-1987	2015	2008	1998	1987		
1.62	0.99	8.45	9600	6602	5278	606	12	عيون العصافير (as)
1.04	2.38	1.16	3410	2680	1546	1153	25	عيون لعصافير (acl)
3.70	2.69	1.81	2060	1631	878	554	10	واد الشعبة (لمبريدي (acl))
1.19	2.82	3.15	4760	3616	1886	848	15	فسديس (acl)

المصدر: إحصاء + المخطط الولائي + تقديرات 2015م + معالجة شخصية

2. الزيادة في عدد السكان:

مركز بلدية واد الشعبة، قد تضاعف عدد السكان فيه ما بين الفترتين 2008-2015 وزيادة معدل النمو من 4.23% في الفترة 1987-1998 إلى 6.44%، وتناقص في 2008-2015 إلى 3.00%.

وهكذا بالنسبة لمركز فسديس حيث تضاعف عدد السكان من 1886 نسمة في سنة 1998 إلى 4760 نسمة في 2015 بمعدل يتناقص من 7.54% وهذا ما يوضحه الجدول الموالي رقم (6) خلال الفترات التالية.

وهذه الدرجة الأقل تشير إلى أن السلطات المحلية حاولت تجنب هذه المراكز حركة الانتشار الحضري حفاظا على طابعها الفلاحي.

تزايد سكان الأطراف مؤشر لعودة الحيوية الديمغرافية فيها لأنها كانت في السابق خزان رئيسي لتمويل مدينة باتنة بالسكان. أما الآن فهي تلعب دور كبير ومهم في امتصاص فائض السكان خاصة بالنسبة لحي حملة 3 الذي يعتبر أكبر قطب لامتصاص السكان وتوسع مدينة باتنة في بلدية لمبريدي وهذا كان محفزا لتوسع مركز البلدية والذي يتميز بنمط السكن الجماعي. أما بالنسبة لمركز فسديس فهناك توسع كبير في المركز خاصة بعد إنجاز جامعة باتنة 02 الذي يمثل قطب لامتصاص السكان، وتعكس الاختلافات في

يعكس التزايد العددي لسكان مراكز التعمير الصغير لأطراف مدينة باتنة الوتيرة العالية لطاقة تفرغ سكان المدينة بفضل توظيف مشاريع كبرى للسكان، حيث كان مركز عيون العصافير قرية اشتراكية في إطار مشروع الثورة الزراعية في السبعينيات القرن الماضي، وتحولت إلى مركز عمراني في 1998م بعدد سكاني 5278 نسمة وبعدها 6602 نسمة في 2008م حسب تقديرات 2015م بلغت 9600 نسمة على عكس مركز البلدية سيدي معنصر والتي يقدر عدد سكانها في سنة 2008م ب 2680 ن التي هي في الأصل مركز إستعماري، وقوعها على محور الطريق الوطني رقم (88) الرابط بين باتنة وخنشلة لم يجعل منها مركز جذب للسكان، إلا أن المركز الثانوي عيون العصافير (as) تابع إداريا إلى بلدية عيون العصافير و التي يطلق على مركزها العمراني الرئيسي (acl) سيدي معنصر، و بعد الاستثمار الحضري ونقل سكان مدينة باتنة إلى المركز الثانوي للبلدية الذي يأخذ نفس إسم المركز الرئيسي عيون العصافير والمتمثل في السكن الوظيفي والاجتماعي جعل منه مركز استقطاب للسكان، وكذا بالنسبة للمراكز الأخرى التي تعرضت إلى الزيادة في عدد السكان، أما بالنسبة لمركز لمبريدي الذي يمثل

الجدول (6): نسبة السكان القادمين من مدينة باتنة

النسبة المئوية	عدد الوافدين الى الاطراف	العدد الحقيقي	عدد سكان العينة	تقدير اوسكان 2015	المراكز العمرانية (الاطراف)
76.87	359	467	480	9600	عيون العصافير
67.64	161	172	238	4760	فسديس
63.91	62	97	103	2060	لمبريدي

المصدر: دراسة ميدانية 2015 م

ملاحظة: تم اخذ عينة 5 % من تقديرات عدد السكان 2015 يحتل السكان في مدينة باتنة الأغلبية المطلقة، ويلاحظ أن اختيار مكان الإقامة في الأطراف إجباري خاصة بعد نقل سكان المناطق المتدهورة أو في حالات السكن الاجتماعي والتساهمي وهذا لفك الخناق على مدينة باتنة والتحكم في نموها، وهذا ما توضحه بيانات أصل السكان القاطنين في الأطراف (مراكز التعمير الصغير) وهذا بعد أخذ عينات لعدد سكاني يمثل 5% من إجمالي التقديرات السكانية لسنة 2015م مع أخذ بعين الاعتبار الإستمارات (الإستبيان) الملغاة كما هو مبين في الجدول رقم (6).

إلا أن السكن الفردي الذي يتميز بطابعه الاختياري حر نسبيا ويكون على شكل (تحصيصات، بناء فردي، وسكن ترقوي، ...).

حيث يحتل المرتبة الأولى مركز عيون العصافير من جملة السكان القادمين من مدينة باتنة رغم أنها تمثل مركز عمراني ثانوي بالنسبة لبلدية سيدي معنصر (acl) بنسبة 76.87%.

إلا أن مركز فسديس يحتل المرتبة الثانية بنسبة 64.48% من جملة السكان القادمين من باتنة خاصة بعد إنشاء جامعة باتنة 2 والتي أعطت دفع كبير للسكان القادمين من المدينة الأم.

أما مركز لمبريدي (واد الشعبة) والذي يتميز خاصة بالسكن الفردي، والذي توجه إليه السكان خاصة بعد إنشاء المنطقة الصناعية على الطريق الوطني رقم (3) الرابط بين عين توتة وباتنة مرورا بمركز لمبريدي (واد الشعبة) وإنشاء القطب العمراني حملة (3) والذي أعطى أهمية كبيرة لهذه

معدلات النمو بين المراكز والاختلافات التخطيطية للنمو الحضري من حيث تفاوت حجم توطين المنشآت القاعدية وبرامج الإسكان الرسمية، وهي التي دفعت بنمو مراكز على حساب أخرى، والتي تحولت كلها إلى مراكز حضرية^[11].

فأغلب التعمير في تجمع فيديسغوي خاصة بعد أن أصبح مسار الطريق الوطني رقم (3) يعبر عن توطين الأنشطة الصناعية والتجارية في المركز.

فهناك تناقص في معدل النمو من 7.54% في الفترة 1987-1998 إلى 6.73% في الفترة 1998-2008م وحسب تقديرات 2015م وصل إلى 4.00% في الفترة 2008-2015م.

ويلاحظ أن معدلات النمو في مراكز التعمير الصغير تؤكد حقيقة ثابتة بأن مدينة باتنة أصبحت تنمو وتتوسع نحو الأطراف، وهي ظاهرة ديمغرافية ومجالية متميزة نتجت عن العلاقة بين ظروف الموضع الطبيعي والمؤثرات الاجتماعية والاقتصادية والخيارات التخطيطية، وهي توضح شكل الصورة الانتشارية لنمو مدينة باتنة نحو الضواحي والأطراف وبالتالي تحول المراكز الريفية إلى مراكز حضرية أو بالأحرى توسعها وخلق مراكز وسطية بين الحضر والريف.^[12]

3. الأصل الجغرافي لسكان المراكز العمرانية للأطراف:

إن تركيز السكان في الأطراف يتبعه تفرغ للمدينة الأم، حيث حافظت المدينة على دورها الاستقطابي وهيمنتها الوظيفية، في جذب السكان والأنشطة والتبادلات على المستوى الجهوي في حين أصبحت حاليا تمثل مركز حضري طارد للسكان والأنشطة لذلك حاولنا معرفة ما إذا كان هناك استقطاب للسكان ونسبة الوافدين الى الاطراف الحضرية لمدينة باتنة من خلال الاصل الجغرافي للسكان القاطنين بهذه المراكز واهميتها بالنسبة لتوافد اكبر حجم سكاني اليها. حسب الجدول (6).

تتمثل أهم معالم التحول إلى الأطراف المتميزة بسيطرة الامتدادات العمرانية الحديثة النشأة بأشكالها المختلفة في شكل أحزمة تحاصر النويات القديمة التي استهلكت عشرات الهكتارات من المساحات الفلاحية وما يتبعها من منشآت البنية التحتية والتجهيزات.

وظهرت هذه الأشكال العمرانية الجديدة ابتداءً من تسعينيات القرن الماضي، وقد أشارت إلى نقلة نوعية في قطيعة واضحة مع النمط الموروث لتضفي على الأطراف ظاهرة متميزة أين يتجه السكان إليها وهي ظاهرة متميزة أين يتجه السكان إلى التحضر مع البقاء في الوسط الريفي، وهذا لبلوغ التجهيزات والخدمات الحضرية بدون قطع المسافات [13]. وأصبحت أنماط المباني تتراوح بين العمارات والفيلات والمباني الذاتية والعمومية.

3.4. التحول إلى النمط الجماعي:

تتمثل أهم معالم هذه التحولات في التوزيع الجديد للأشكال العمرانية المتميزة بسيطرة الامتدادات العمرانية الحديثة النشأة بأشكالها المختلفة في شكل أحزمة تحاصر النويات القديمة.

الامتدادات الحديثة تتميز بسيطرة النمط الجماعي الذي خصص لإسكان الوافدين من مدينة باتنة التي استنفذت احتياطيها العقاري، فكانت الأطراف المنتفخ الوحيد لتفريغ النمو المتزايد للسكن والسكان، هذا النمط على شكل عمارات بين 4 و 5 طوابق بمعالم غير واضحة للتهينة، إضافة إلى السكن الغير مخطط الذي أجتاح المجال مما يزيد في معدل استهلاك المجال وهذا نتيجة للملكية العقارية التي تميز هذه المراكز العمرانية، حيث تتميز هذه الأخيرة بطرق ومواقف للسيارات غير مهياة، إضافة إلى الطرق الأولية التي تمثل المحور المهيكل للمراكز العمرانية (الأطراف).

هذه التجمعات السكنية ليس لها هيراركية ولا هوية، المباني متشابهة في شكلها الهندسي وتفصيلاتها المعمارية في نمط تغلب عليه الرتابة سواء في مواد البناء أو في شكل الواجهات والألوان، والمجالات الخارجية غير مهياة حيث نجد حالة إهمال تام خاصة بالنسبة للسكن الجماعي.

أما السكن الفردي فيمتاز بالتنوع حيث نجد تخصيصات تقتصر إلى النسق الحضري لكنها تقي بحاجيات

البلدية الفتية والذي يتميز أساسا بالسكن الاجتماعي، الترقوي والتساهمي، ونقل المصالح الإدارية إليه حيث قدرت نسبة السكان القادمين به من مدينة باتنة 63.91%.

4. التحولات المرفولوجية:

تدفق السكان ونقل الأنشطة إلى الأطراف أدى إلى تغير واضح في تركيبها المرفولوجي وملامحها ومظهرها، حيث نتجت الكتلة المبنية من طابع نويات القرى الإستطانية ونويات المزارع النموذجية تحتلها المباني المحدودة الارتفاع بطابق أو طابقين على الأكثر حسب نمط المباني الريفية الفرنسية المبنية بالحجارة أو الأجر وأسقفها القرميدية، لها ساحة داخلية مفتوحة وملحق بها في كثير من الأحيان إسطبلات، ووجهتها الرئيسية تطل على الشارع، وتتهيك هذه المباني حول محور الطريق الوطني تقطعه طرق عمودية تؤدي إلى الداخل مع وجود مدرسة ومؤسسات لخدمة العالم الريفي. إضافة إلى القرى الإشتراكية ذات أسقف من القرميد وجدران من الطوب والحجارة فيها دار البلدية ومسجد ومحلات تجارية.

1.4. نمط إستخدام الأرض:

وقد تعرضت نويات هذه القرى إلى تغيرات في طبيعتها أو في نمط استخدامها بعد أن تحولت بفعل النمو الحضري إلى مراكز التعمير الصغير، حيث غيرت واجهة العديد من المباني السكنية إلى استخدامات إدارية والعديد من الإسطبلات إلى مخازن ومحلات تجارية، كما أعيد بناء بعض المباني القديمة بمواد بناء حديثة ونمط مغاير للنمط الأصلي. وتحولت معظم المباني الواقعة على الطريق إلى تحويل طوابقها الأرضية إلى محلات تجارية مما أدى إلى ارتفاع درجة تركيز الخدمات والأنشطة لتلبية الحاجيات الواسعة لسكان التوسعات الجديدة التي تقتصر إلى المرافق مثل قطب فسديس الذي هو حديث النشأة.

إلا أن أهم التحولات في مرفولوجية مراكز الضواحي كانت في الإطار المبني حيث بدأت تفقد ملامحها الريفية نتيجة التعمير الحديث والمكثف على شكل مناطق للسكن الحضري عن طريق التخصيصات، السكن الفوضوي، الترقوي ومناطق صناعية أصبحت تحاصر النويات القديمة والتي استهلكت مساحات كبيرة من الأراضي الفلاحية.

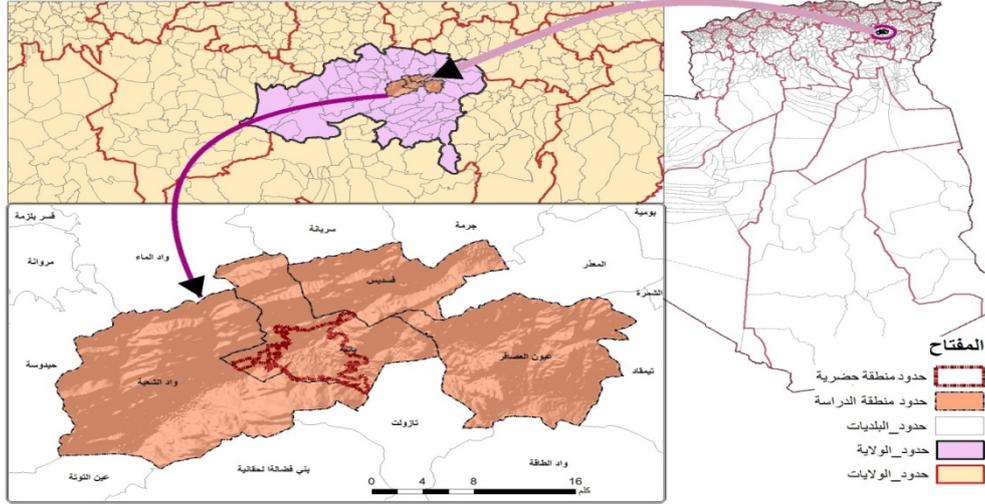
4-2 التوسع العمراني والتحول إلى الأطراف

التعمير الصغير وآليات التحول إلى أطراف مدينة باتنة

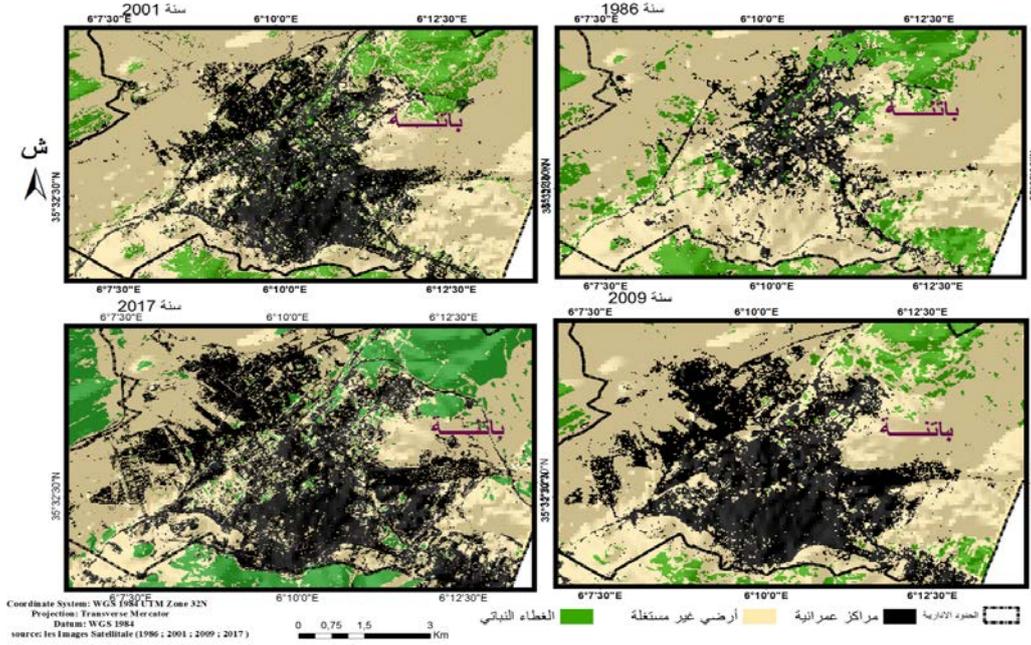
على الخرائط كل مركز على حدي لة والمتمثلة في مراكز فسدس، لمبريدي (واد الشعبة)، عيون العصافير (as).
ملاحظة: تم معالجة الخرائط للسنوات 1986.2001.2009.2017 المقتبسة من صور القمر الصناعي عن طريق برنامج نظم المعلومات الجغرافية.

الطلب المتنامي على السكن، أما بالنسبة للسكن الغير مخطط فهو يتميز بفوضى تحتل المناطق ذات ملكية عقارية عرش وملك يبيعتها أصحابها بعقود عرفية.
والخرائط الموالية توضح النمو الحضري وتوسع حجم النويات العمرانية في ضواحي مدينة باتنة وعلاقتها بالمدينة الأم للسنوات (1986-2001-2009-2017) والموضحة

خريطة رقم 01: الموقع الإداري لمنطقة الدراسة



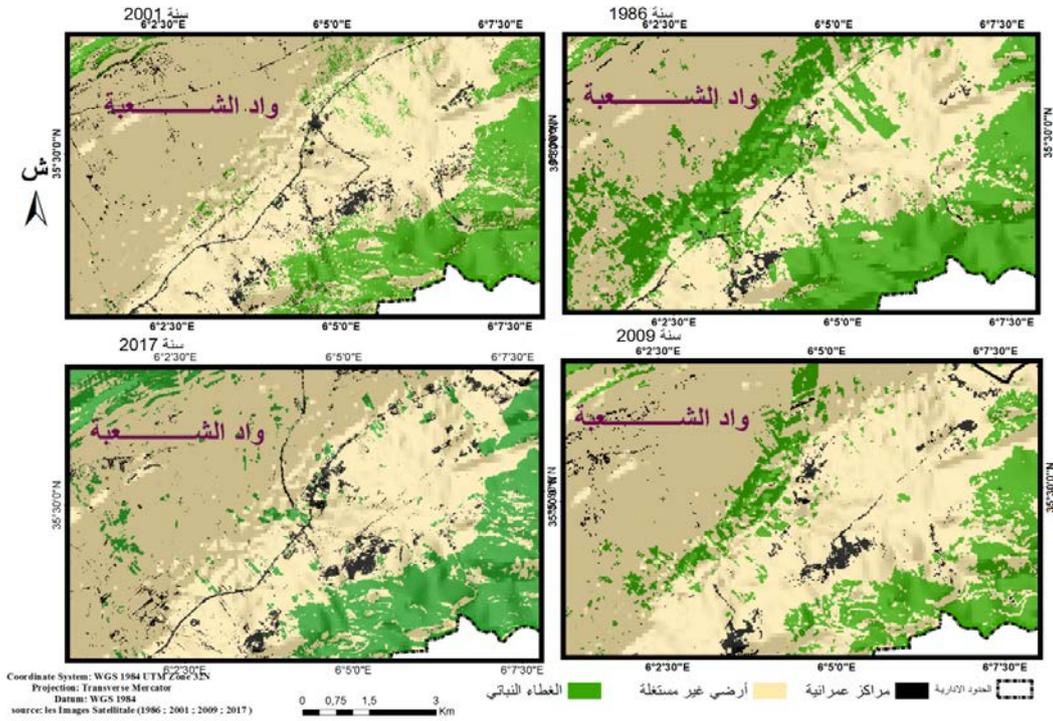
المصدر: مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية + معالجة شخصية ببرنامج نظم المعلومات الجغرافية
الخريطة رقم 2: التطور العمراني لمدينة باتنة سنة (1986 - 2001 - 2009 - 2017)



المصدر: معالجة شخصية (arcgis) + صور القمر الصناعي

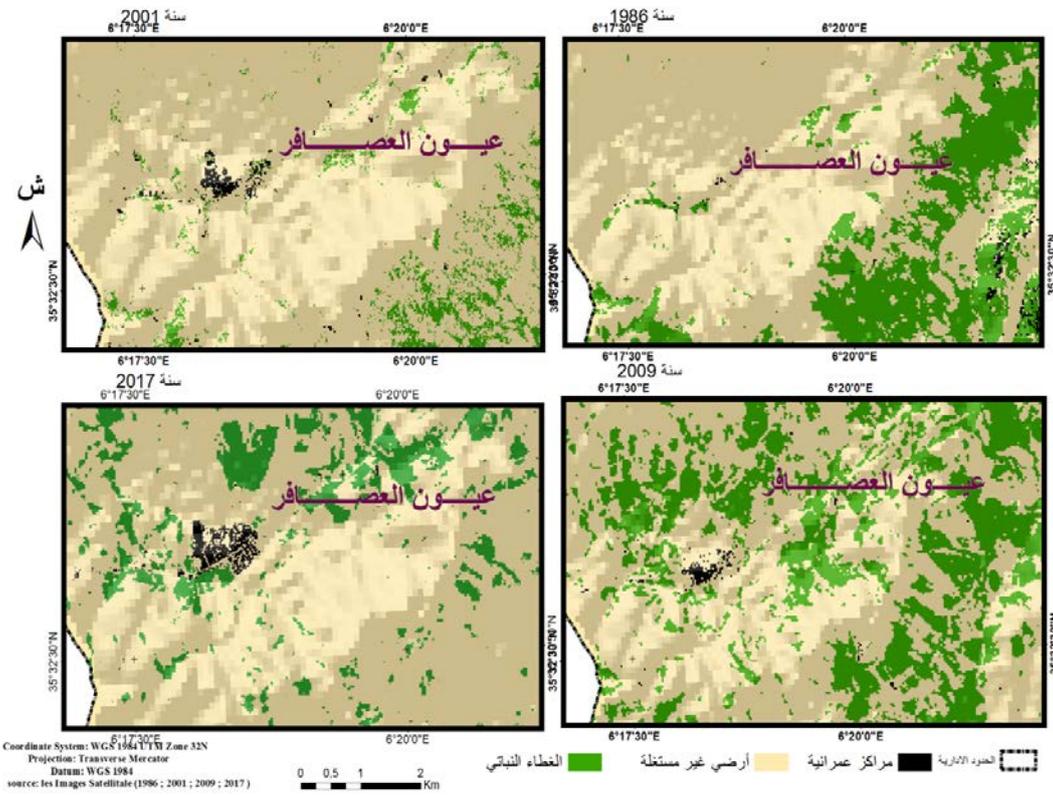
ضريفي نعيمة، لكحل عبد الوهاب

خريطة رقم 03: التطور العمراني لمركز واد الشعبة (الميريدي)



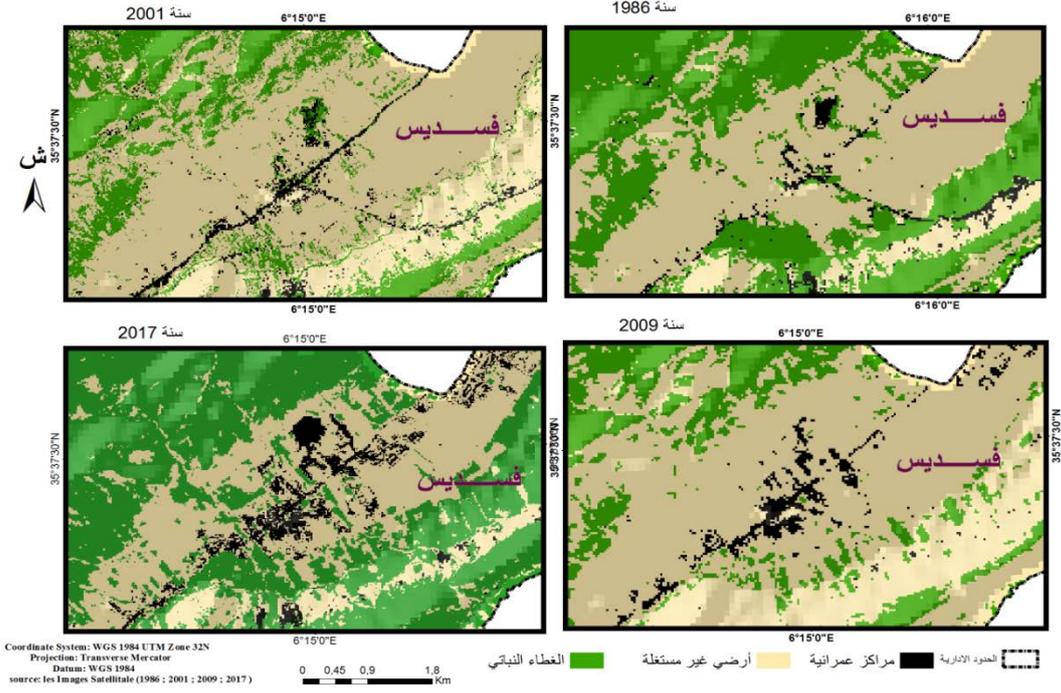
المصدر: معالجة شخصية (arcgis) + صور القمر الصناعي

خريطة رقم 4: التطور العمراني لمركز عيون العصافير

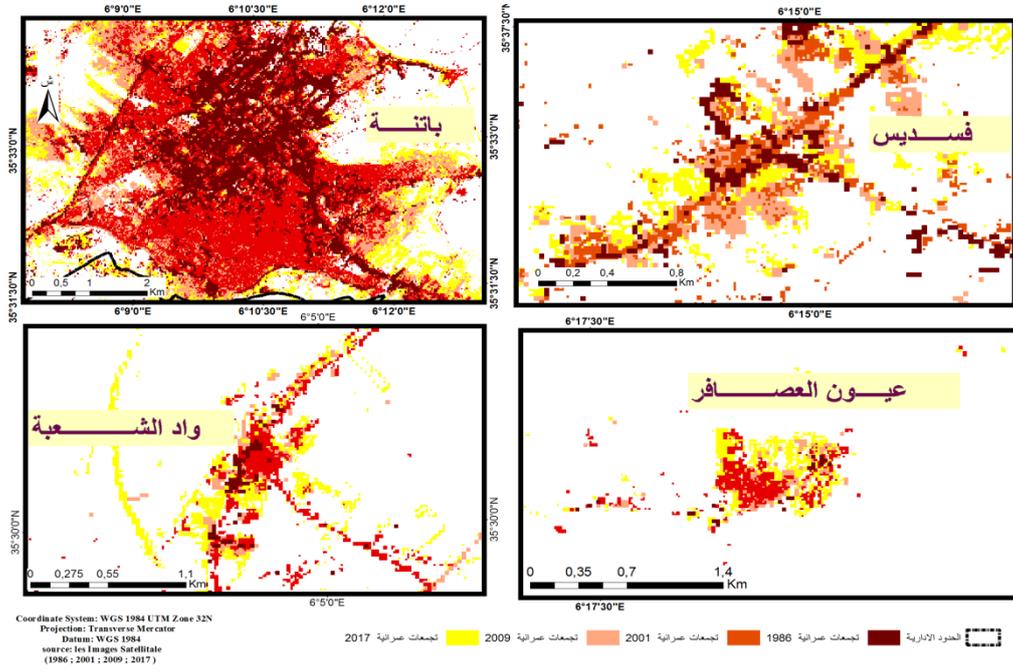


المصدر: معالجة شخصية (arcgis) + صور القمر الصناعي

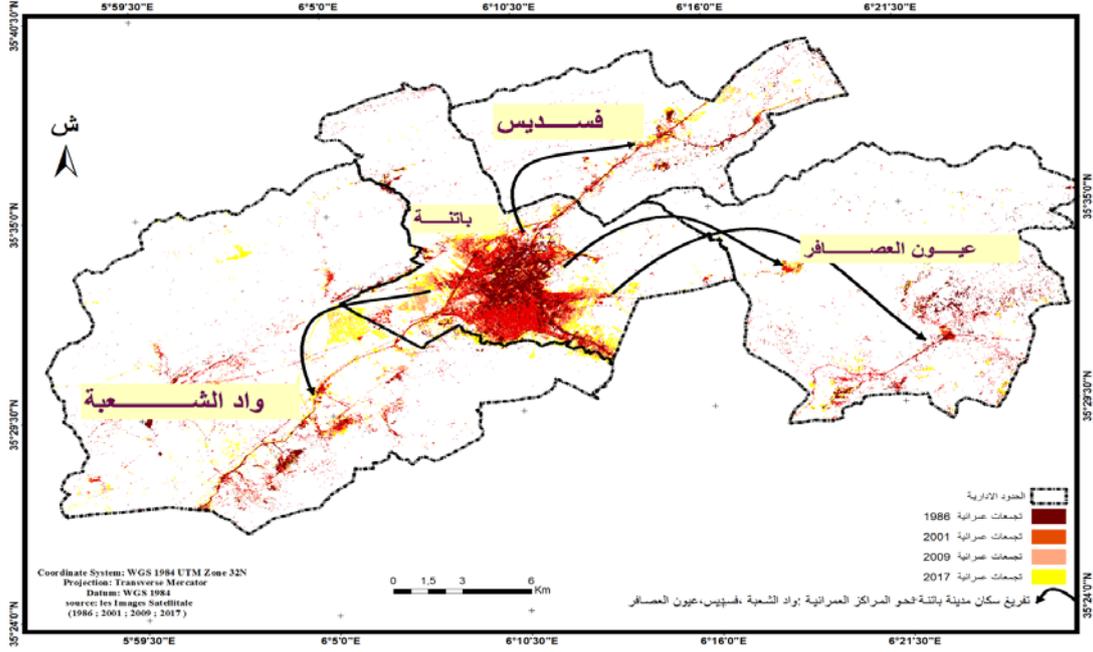
خريطة رقم 5: التطور العمراني لمركز فسديس



خريطة رقم 6 : مراحل التطور العمراني لمراكز مجال الدراسة (carte syntes)



الخريطة رقم 07: تفريغ مدينة باتنة نحو المراكز العمرانية (فسديس، واد الشعبة , عيون العصافير)



المصدر: دراسة ميدانية لسنة 2015 م + معالجة شخصية ببرنامج نظم المعلومات الجغرافية

خاتمة

من خلال حالة النمو السكاني الحالية التي تسيطر على المجال الحضري الباتني، التي أدت إلى تزايد الطلب على المجال، والبحث عن السكن والخدمات، في غياب تصور شامل ومتكامل للطاقت العمرانية والاقتصادية والبشرية والمجالية في المدينة و تعدى إلى الأطراف، هذا صاحبه التخطيط أحيانا وغيابه أحيانا أخرى مما جعل هذه المراكز ذات نظام عمراني غير واضح المعالم، تتمثل في التعمير الصغير الذي يضيف على المجال نظام ونمط سكني معين، بعد تفريغ المدينة واللجوء إلى تعمير الأطراف خاصة عند وصولها مرحلة التشعب، ويؤكد هذا المعدلات القياسية التي سجلتها الأطراف عبر وتيرة نموها، هذا النمو المتزايد هو في الواقع رد فعل وترجمة ميدانية لنقل نمو سكان مدينة باتنة إلى الأطراف كان أقوى، وأخذت التوسعات نحو المراكز الريفية شكل انتشار المد الحضري في الوسط الريفي وهذا ما يؤدي إلى تحضر الريف عن طريق التعمير الصغير.

قائمة المراجع:

- [2] محمد الهادي لعروق، حوليات مجلة الوحدة الإفريقية، 1997، ص 9.
[3] محمد الهادي لعروق، مرجع سابق، ص 2.
[4] Marc Cote, 1999, les villes sahariennes, Séminaire international, Biskra.
[5] محمد الهادي لعروق، مرجع سابق، ص 9.
[6] محمد الهادي لعروق، مرجع سابق، ص 9.
[7] سويسي فوزية، حتمية تعمير الأطراف الحضرية توسع مدينة، باتنة، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2006.
[8] بوراس شهرزاد، الديناميكية المجالية والأشكال الحضرية بمدينة باتنة، ماجستير في التهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة، 2001.
[9] سويسي فوزية مرجع سابق ص 41.
[10] Jaques Fontaine, villages kabyles et nouveau réseau urbain en Algérie, center d'étude et recherche, C.N.R.SN°365, 1983, p16.
[11] محمد الهادي لعروق، مرجع سابق، ص 14.
[12] Salah Eddin Charrad, article dynamiques rurale dans le Maghreb profonde janvier 1999.

[1] Karima Messoudi, article de la revue cahiers de géographie du Québec, 2007, p3.